

صبح الأعشى في صناعة الإنشا

والوقوف بين يدي الحكم العدل (ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى) أستم في مساكن من كان قبلكم أطول منكم أعمارا وأوضح منكم آثارا وأعد عديدا وأكثر جنودا وأشد عنودا تعبدوا للدنيا أي تعبد وآثروها أي إيثار وطعنوا عنها بالكفر والصغار فهل بلغكم أن الدنيا سمحت لهم نفسا بفدية أو أغنت عنهم فيما قد أهلكتهم بخطب بل أرهقتهم بالقوادح وضععتهم بالنوائب وعقرتهم بالفجائع وقد رأيتم تنكرها لمن رادها وآثرها وأخلد إليها حين طعنوا عنها لفراق إلى الأبد إلى آخر الأمد هل زودتهم إلا السغب وأحلتهم إلا الضنك أو نورت لهم إلا الظلمة أو أعقبتهم إلا الندامة أفهذه تؤثرون أم على هذه تحرصون أم إليها تطمئنون يقول ا□ جل ذكره (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون) بنست الدار لمن أقام فيها فاعلموا إذ أنتم تعلمون أنكم تاركوها الأبد فإنما هي كما وصفها ا□ تعالى باللعب واللهو وقد قال ا□ تعالى (أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين) . إلى غير ذلك من خطب خلفاء الدولتين وأمرائهم مما يطول القول بإيراده ويخرج الكتاب بذكره عن حده .

المقصد الثاني في كيفية تصرف الكاتب في الخطب .

قد تقدم في أول المقصد الأول من هذا النوع قول أبي هلال العسكري إن الرسائل والخطب

متشاكلتان في أنهما كلام لا يلحقه وزن ولا